

القصيدة المنصفة للشيخ بن الموهوب دراسة أسلوبية دلالية

El-Monsifa by Sheikh ibn al-Mawhoub -semantic stylistic study-

محمد شارف¹، الأستاذ الدكتور: محمد الأمين خلادي²

Charef Mohamed¹, Khalladi Mohamed el amin²

¹ جامعة أدرار (الجزائر)، moh.charef@univ-adrar.edu.dz

² جامعة أدرار (الجزائر) alaminek@univ-adrar.edu.dz

تاريخ النشر: 2021/07/14

تاريخ القبول: 2021/07/04

تاريخ الاستلام: 2021/05/16

الملخص: يهدف هذا البحث إلى مقارنة قصيدة "المنصفة" للشاعر المفتي المولود بن الموهوب" مقارنة أسلوبية دلالية؛ وذلك باستخراج الصور الشعرية والرمزية، إضافة إلى الحقول الدلالية الممكنة، ذلك أن الشاعر كتب قصيدته ليفضح بعض المخالفات الشرعية الخطيرة التي بدأت تظهر على سكان قسنطينة، ومن النتائج المتوصل إليها أن "ابن الموهوب" استلهم أفكاره من التراث الحضاري لمدينة قسنطينة واصفا حاضرها -إذ ذاك- بالخطر، حيث انغمست النسوة في الطقوس الشركية والوثنية التي لا تمت إلى الدين بصلة، كما اغترف من معين القرآن الكريم والسنة النبوية ليبين الصواب الذي يجب أن يتبع اقتداءً بالسلف الصالح في مدينة عريقة مثل قسنطينة، صنعت مجدها من خلال تلك الرموز التاريخية المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: ابن الموهوب ، أسلوبية، دلالية، صورة، رمز، قسنطينة.

Abstract

This research aims to approach the poem, al-Mawloud ibn al-Mawhoub a semantic stylistic study, by extracting the poetic and symbolic images present in the poem, in addition to the possible semantic fields. To expose some of the serious legal violations that began to appear on the residents of Constantine, and from the findings that Ibn al-Mawhoub was inspired by the cultural heritage of the city of Constantine, describing its present as dangerous, as women indulged in polytheistic and pagan rituals that do not belong to religion. He also used the specifics of the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet to show the right thing to follow, following the example of the righteous ancestor in an ancient city such as Constantine.

Keywords: ibn al-Mawhoub; stylistic; semantic; images; Constantine.

المؤلف المرسل: شارف محمد، الإيميل: moh.charef@univ-adrar.edu.dz

1. مقدمة:

نحاول في هذا البحث دراسة قصيدة من القصائد التي كتبها الأستاذ العلامة الشيخ المولود بن الموهوب القسطنطيني، صاحب النهج الإصلاحية الطاغية على وجدانه الشعري، وأحد أساتذة المدرسة الكتانية، وقد أسمى قصيدته "المنصفة" وهي في كشف أهل البدع والأهواء في قسنطينة أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وقد جاءت القصيدة بنفس وزن معلّقة "عمرو بن كلثوم" وقافيتها، وهي من الشعر القوي، مما دفعنا إلى مقارنتها مقارنة أسلوبية دلالية معتمدين في ذلك المنهج التحليلي، مع الاستعانة بالمهج التاريخي، وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية الموالية:

ما هي الصور الشعرية والمعمية التي استقى منها ابن الموهوب دلالاته في القصيدة؟
للإجابة على ذلك نفترض ما يلي:

- استمد المولود ابن الموهوب صورته الشعرية من تلك الطقوس الوثنية التي دأبت نسوة قسنطينة على اتخاذها درءاً للجنّ والشياطين حسب زعمهم.
- استطاع ابن الموهوب عرض أفكاره انطلاقاً من مقارنة تلك البدع بالخرافات والخرعبلات.
- نهل ابن الموهوب من التراثين التاريخي والأسطوري لمدينة قسنطينة ويهدف البحث إلى مقارنة القصيدة المنصفة مقارنة أسلوبية دلالية، فضلاً عن عرض مجمل الأفكار التي تناولها ابن الموهوب، بصفته شاعراً جزائرياً حاكي نموذجاً جاهلية بصورة حافظت على رونق الشعر، مما دفع شيخه العلامة "عبد القادر المجاوي - وهو من هو - إلى شرحها في مؤلفه المسمى: "اللمع في إنكار البدع"

2. ابن الموهوب ترجمته، شعره، وخطبته

1.2 ترجمة ابن الموهوب:

لا شك أنّ مدينة قسنطينة قد أنجبت العديد من الأعلام الذين ساهموا في الحياة الثقافية - ليس في قسنطينة فحسب - بل في الجزائر كلّها، ومن هؤلاء الشيخ "المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المديني بن العربي الموهوب" (1283-1358هـ / 1866-1939م)، الذي عاش في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، والثلث الأول من القرن العشرين، وهو مدرّس وفقه، ومفت، وخطيب، وأديب، عاصر عدداً من أعيان المدينة، فهذا شيخه "محمد الشاذلي القسطنطيني" كان أديباً شاعراً، إضافة إلى كونه قاضياً مالكيّاً، درّس بالمدرسة الكتانية، وعندما انتصب ابن الموهوب للمشيخة سنة 1895م كان من زملائه "عبد القادر

المجاوي"، ومحمد بن أبي شنب"، و"محمود بن محمد الشاذلي"، ويكفيه فخراً أن كان "عبد الحميد بن باديس" من تلاميذه، فقد حضر هذا الأخير دروسه في الجامع الكبير، وتأثر بأفكاره الإصلاحية. وقد ورد في رحلة الوريثاني ذكر شيخ الركب محمد المسعود نجل سيدي الموهوب دفين بلاد القبائل (الوريثاني، 1908، ص5)

أسهم ابن الموهوب في تأسيس نادي (صالح باي) الثقافي، وفيه كان يلقي محاضراته الثقافية، كما كان يلقي دروس الوعظ في الجامع الأخضر. له شعر جيد في محاربة البدع، وعدد من المقالات الاجتماعية والثقافية نشرت في "كوكب إفريقيا" و"الإقدام" و"الصديق"، وكان يحسن الفرنسية، ويجادل المستشرقين والمستعمرين، من آثاره "نظم مقدمة ابن آجروم" و"مختصر الكافي في العروض والقوافي"، و"شرح منظومة التوحيد" لشيخه عبد القادر المجاوي، و"آداب الطريق في التصوف"، حمل فيه على البدع والطرقية الضالة وأصحابها (عادل، 1980، ص324)

2.2 شعره

كان المولود ابن الموهوب شاعراً، إضافة إلى كونه مفتياً، وتدل على ذلك الاختيارات الشعرية التي ذكرها له "الزاهري" في ديوانه: "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"، ومما يلفت النظر في تلك الأشعار هو النهج الإصلاحي الطاعني على وجدانه الشعري، كذلك ما يمتد للفتح بصلة، كتمجيد الكشوفات العلمية، والدعوة إلى الاحتفاء بالعلم، والتحدث عن الامتحانات ومصاعبها، والجزم بأن الأمم إنما تضمن خلودها وتفوقها بأعمالها، ومن بين قصائده المتميزة "المنصفة" وهي نونية في اثنتين وسبعين بيتاً، تدل على نفس شعري طويل، وتحكم كبير في الوزن والقافية (حمادي، 2001، ص137)

ومن نماذج شعره ما نظمه لطلاب في نادي "صالح باي" سنة 1911، وقد حفظ الطلبة هذا الشعر وأنشده عند توزيع الجوائز السنوية، ثم غنته فرقة "ابن كوراط وبسطانجي" الموسيقية (القاسم، 1992، ص154):

إن العلم يزدهر بالعمل.

وإن الكسل يقتل موهبة الإنسان.

فاعملوا بجد أيها الشباب، لتحصلوا على مكان مشرف.

اطمحو، مثل الآخرين، إلى المجد.

لا تياسوا، لأن الله يسعف دائما أولئك الذين يفعلون الخير.

ألستم أنتم نسل شعب عظيم؟

ألستم أبناء رجال شجان؟

أما قصيدته المنصفة فهي قوية الروح ضعيفة الشعر، وهدفها تعليمي، وقد صاغها على قالب

قصيدة عمرو بن كلثوم، يقول فيها: (جابر، 2001، 23/2)

لَأَنَّا لِلْمَعَارِفِ مَا هُدِينَا	صُعُودُ الْأَسْفَلِينَ بِهِ دُهِينَا
أَنَاسًا لِلْخُمُورِ مُلَازِمِينَا	رَمَتْ أَمْوَاجُ بَحْرِ اللَّهْوِ مِنَّا
لِبَيْتِ الْحَانَ فَازِدَادُوا جُنُونَا	أَضَاعُوا عِرْضَهُمْ وَالْمَالَ حُبًّا
لِحَقْدِهِمْ قُلُوبَ الْكَانِدِينَا	تَوَاصَوْا بِالتَّنَافُرِ فَاطْمَأْنَنَتْ
أَصُولُهُمْ لَهُمْ أَفْنَاءُ سِنِينَا	فَكَمْ أَكَلَ الْعَقَارُ عَقَارَ قَوْمٍ
كَحِيلًا مِثْلَ جَمْعِهِمْ أَهِينَا	وَكَمْ سَاقَ الْكُحُولِ إِلَى أَنَاسٍ

3. المستويات الدلالية في قصيدة "المنصفة"

1.3 الصورة الشعرية:

الصورة الشعرية من العناصر الأساسية في بنية النص الشعري، التي تصفي رونقاً وجمالاً على النص، وهي من لبنات البناء النصي الذي يتشكل بتظافر المستويات الصوتية والصرفية، والمعجمية والتركيبية، وقد عرفت الصورة الشعرية في التراث العربي القديم، وذلك من خلال المباحث النقدية والبلاغية التي ناقشها (عبد القاهر الجرجاني) و(ابن رشيق) و(الآمدي) وغيرهم فقد كانت لهم مقاييس يستطيعون بها المفاضلة بين الشعراء واعتبار بعضهم أشعر من بعض، فقد عرض المرزوقي للصورة ضمن محاور الشعر السبعة وهي: «شرف المعنى وصحته»، جزالة اللفظ واستقامته، الإصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات -، المقاربة في التشبيه، التحام أجزاء النظم والتتامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له» (أحمد، 2002، ص9) باعتبارها من أوجه البلاغة لدى الشعراء، وهي التي تحدّد منزلة الشاعر بين أقرانه «باعتبارها عنصراً حيويّاً من عناصر التكوين النفسي للتجربة الشعرية» (ديب، 1995، ص19) ولقد كانت ثم يكون بناؤها عند كلّ منهم متضمناً لعناصر التميز والتفرد، وتغدو الصورة - من ثم - مقياساً تقاس به موهبة الشاعر، وموضع الحكم عليه (حسن، 1981، ص17)

1.1.3 الآفات الاجتماعية

وقد حفلت القصيدة بمجموعة من الصّور الشعريّة التي استمدّها "ابن الموهوب" من ثقافته الواسعة، وتشبيهاته واستعاراته وإحياءاته التي استقاها من معين التّراث والتّاريخ الذي لا ينضب، كيف لا وقد جاءت في قافيتها ورويّها معارضة لمعلّقة عمرو بن كلثوم، هذا الأخير الذي صوّر لنا المعارك التي خاضتها قبيلته، والشّجاعة التي اتّسم بها أفرادها، وهي نونيّة من بحر الوافر ذي التّفعيلة الواحدة

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

0///0// 0///0// 0///0// 0///0// 0///0// 0///0// 0///0// 0///0//

فابن الموهوب - من الناحية العروضيّة - قد وّفّق في اختيار البحر المناسب لعرض أفكاره، بالارتكاز على الوافر باعتباره أكثر البحور استخداماً، ومناسبة لمختلف الأغراض كالفرح والحماسة، بيد أن شاعرنا - وإن وافق عمراً في الوزن والقافية - نحى منحى تمثّل في تصوير بعض الآفات الاجتماعيّة التي نفّشت في مدينة قسنطينة، والتي لا تمتّ إلى عاداتها وتقاليدها بصلّة.

وَكَمْ سَاقَ الْكُحُولِ إِلَى أَنَاسٍ	كَحِيلًا مِثْلَ جَمْعِهِمْ أَهْيَا
وَكَمْ رَقَمَ الْقِمَارُ عَلَى بُيُوتٍ	دُيُونًا وَفَقَّ قَوْلُ الْغَالِبِينَ
وَكَمْ دَاسَ الرَّبَا أَغْنَاكَ قَوْمٌ	وَلَوْلَاهُ لَسَادُوا مُنْعَمِينَ
سَرَتْ فِيهِمْ حَلَاوَتُهُمْ فَأُرْسَتْ	وَأَسْرَتْ الْخَلَّاجَ خَاضِعِينَ

فالأبيات هنا تشير صراحة إلى انتشار بعض الآفات الاجتماعيّة الدّخيلة على مجتمع قسنطينة، كتعاطي الكحول ولعب القمار والمعاملات الزبويّة وهي من الموبقات التي نهانا الله تعالى عنها، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) ﴿[المائدة 91]

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ

وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة 275]

يضيف الشّاعر: (جابر، 2001، 24/2)

تَعَدَّوْا حَدَّ طُورِهِمْ فَطَارَتْ	سَعَادَتُهُمْ وَجَاءَ الْمَقْتُ حِينَا
حَرُوبٌ فِي بُحُورٍ مُفْجِعَاتٌ	تُحْتَمُ إِرْتٌ غَيْرُ الْوَارِثِينَ
فَهَلْ مِنْ مُنْتَهَى لِحُرُوبِ سِلْمٍ	وَهَلْ سِلْمٌ يَرُوقُ الْجَامِعِينَ

وهنا لابدّ من وقفة عند حال المجتمع القسنطيني أيام "ابن الموهوب" وربما قبله، فهذا الرّحالة العبدريّ يصفها بقوله: «وهي مدينة عجيبة حصينة، غير أنها لخطوب الدّهر مستكنة، قد ذبلت ببوارح الغير، وفوداح الضّرر رياضها، ونضبت بسهائم الآفات، وعظائم الملمات حياضها، حتّى صارت كالحسنة لبست أسمالا، والكريم فقد مالا، والبطل أنخنه الجراحة حتّى لم يطق احتمالا» (العبدريّ، 2005، ص94) غير أنّنا نتحقّق على قول العبدريّ، لأنّه كان كثير الدّم في رحلته، لننتقل إلى قول أكثر واقعيّة وأقرب تاريخيّا، وهو رأي "الحسين الورثيلاني" الذي دخل "قسنطينة" بعد عودته من رحلته الحجازيّة، ووصفها بقوله: «لما كثر رزقها واتّسع إنفاقها عسر الوصول فيها إلى الله لقلة المسّاعد، وكثرة المتكبّر المعاند، وإن وجد فيها الصّلاح فمن البله وقلة المعنتي بنفسه فيها حتّى لا يظهر فيها صالح أصلا» (الورثيلاني، 1908، ص688)

ونجد "ابن الموهوب" يلقي باللّوم على أهل قسنطينة، لما ركنوا إلى الدّعة، واستحلّوا حرّمات الله، مستوحيا تلك الصّرخات التي ما فتئت تتبادر إلى ذهن كلّ قارئ لمعلّقة "عمرو بن كلثوم"، وذلك لغيرته على الإسلام في مدينة العلم والعلماء، مناديا بفضح أهل الفسق والفجور، وكاتّي به يواصل تلك الحملة التي قادها "ابن الفكون" قبله، وحمل فيها معول الهدم في وجه أهل النّفاق وإدعاء العلم والولاية، يقول "ابن الموهوب": (جابر، 2001، 24/2)

فَهَلْ كُنَّا لِذَلِكَ سَامِعِينَ
فَهَلْ كُنَّا بِفَعْلٍ قَانِمِينَ
فَجُرْنَا وَاتَّخَذْنَا الضَّدْدِينَ

يُنَادِينَا الْكِتَابُ لِكُلِّ خَيْرٍ
يُنَادِينَا الْحَدِيثُ لِكُلِّ فَضْلٍ
يَقُولُ لَنَا النَّصُوحُ أَلَا اسْتَفِيقُوا

ويقول أيضا: (جابر، 2001، 24/2)

وَإِنَّا الْفَاعِلُونَ إِذَا نُهِينَا
وَإِنَّا الرَّاكِنُونَ إِلَى اللَّذِينَا
وَإِنَّا السَّاخِطُونَ إِذَا ابْتُلِينَا

فَإِنَّا الْجَاهِلُونَ إِذَا فَعَلْنَا
وَإِنَّا النَّاكِرُونَ لِكُلِّ بَرٍّ
وَإِنَّا الْعَاشِقُونَ لِكُلِّ غَيٍّ

2.1.3 الصّور الرّمزيّة

وفي القصيدة بعض الصّور الفنّيّة ذات الدّلالات الرّمزيّة، بل والأسطوريّة، ومن الرّموز المرتبطة بقسنطينة نجد: الجنون، زارا، مسيد طبل، الرّينة (كيوم زينة فرعون)، السّلاحف في غراب، الأعطار، غابا، الحمام، السّدرا (حمّادي، 2001، ص137) وقد وظّف ابن الموهوب بعضا منها في "منصفته" توظيفا زمزيّا، الغرض منه فضح تلك الانحرافات الخطيرة التي أضحت طقوساً شركيّة أقرب إلى الوثنيّة، منها إلى

الإسلام، مستخدماً في ذلك فعل الأمر "سل" دلالة على ما طال تلك الرموز من تشويه: (جابر، 2001، 25/2)

وَسَلْ زَارَا وَنَسِرْ مَسِيدَ طَبِلْ	وَزَيْنَتْنَا تَبِيعَ التَّابِعِينَا
وَسَلْ غَنَا السَّلَاحِفَ فِي غُرَابٍ	وَأَعْطَارًا تُرَاقُ وَعَائِمِينَا
وَسَلْ غَابَا لِحُكْمِ الْجَنِّ أَضْحَى	يَقِينَا كُلَّ ضَرٍّْ قَدْ يَقِينَا
وَسَلْ ذَاكَ الْحَمَامَ لَدَى حَمَامٍ	نُدْبَحُهُ بِلا اسْمِ عَادِمِينَا
وَسَلْ سِيدُرَا بِهِ خِرَقٌ أَنْيَطَتْ	وَعَيْرًا حَيْثُ نَفَزَعُ نَاذِرِينَا

فالشاعر هنا يعيب على أهل قسنطينة إغراقهم في الطقوس الشركية، من ذلك ما تعتقده النسوة في "زارا" الذي يبدو أنه مشتق من "الزيارة"، حيث يجتمع الناس أملاً في الوقاية من مسّ الشياطين، وقريب من ذلك اجتماعهم في احتفال شعبي قرب موضع يقال له "سيدي مسيد"، (نسر مسيد طبل)، تلقي فيه النسوة قلوب الضأن لتلتقطها النسور تقريباً إلى الأولياء، والأولياء في اعتقادهم هم النسور، وهو يقام عادة يوم السبت في أوقات معينة من السنة (ناصر، 2007، ص77)

والمقصود بـ"زينتنا" في البيت طقس من تلك الطقوس المشينة، وهي تزيين "تيس" بأفخر الثياب، والطواف به الدّيار، بغية الارتزاق، فانظر إلى قمة الجهل، وكأنني بالشاعر يلمح إلى ما كان عليه أهل مصر زمن موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُخًى﴾ [طه: 59]، وقد ذكر المفسرون كالطبري وابن كثير وغيرهم، أنه يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه.

وقريب من ذلك ما ورد في سورة القصص في قصة قارون الذي كان من بني إسرائيل (ابن عم موسى عليه السلام) إلا أنه كان باغياً، وكان له يوم زينة يخرج فيه، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: 79]

أمّا في قوله: (جابر، 2001، 25/2)

وَسَلْ غَنَا السَّلَاحِفَ فِي غُرَابٍ	وَأَعْطَارًا تُرَاقُ وَعَائِمِينَا
---------------------------------------	------------------------------------

إشارة إلى "السلاحف في غراب" و"أعطار"، فالأول موضع بفحص قسنطينة معروف بهذا الاسم وبه حوض ماء يسمى "البرمة"، وهو مجمع ماء حارّ من طارئ المعادن كالكبريت، تأتيه نسوة قسنطينة وما جاورها بالتمر والحمص والجوز واللوز فيرمينه فيه، فتأتي السلاحف فتأكله، فتولول النساء اعتقاداً أنّ الجنّ قد رضيت بما فعلن، ويرقن فيه "الأعطار" (جمع عطر)، وهذا ما يشير إليه "ليون الإفريقي" في قوله: «وعلى مسافة نحو ثلاث رميات حجر من المدينة، يوجد حمام مكوّن من عين ماء ساخن يتدفّق بين أحجار ضخمة، ويعيش فيها عدد كبير من السلاحف، تعتقد النساء أنّها شياطين، وإذا اتفق أن أصيبت إحدى

النساء بالحمى أو غيرها تقول إن سبب ذلك يرجع إلى السلاحف، وللتخلص من الداء تذبح حيناً دجاجة بيضاء تضعها في إناء بريشها الكامل، ثم تربط حول الإناء شمعات وتحمله إلى العين ثم تتركه» (الوزان، 1983، ص59)

وفي قوله:

وَسَلَّ سِيدْرًا بِهِ خِرَقٌ أُنِيطَتْ وَغَيْرًا حَيْثُ نَفَزَعُ نَادِرِينَا

إشارة إلى شجر السدر، حيث تعلّق عليه خرق الكتان تعبداً

ومن الرموز التاريخية المرتبطة بالمدينة نجد: الخنساء، الكسعي، بغداد، قرطبة، فاس، القاهرة، حرب الصليب، بخارى، وسنكتفي هنا بالإشارة إلى رمزين ذكرا صراحة في قصيدة ابن الموهوب، وهما رمزا "الخنساء"، و"الكسعي"، ولكليهما دلالة، فالأولى تسمى تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية (575-644م)، شاعرة معروفة برثائها، ذلك أنها - وإن فقدت أبناءها في معركة القادسية - فإنها لم تحزن عليهم كحزنها على أخويها خاصة أباها صخرًا، ولها في ذلك من القوائد الشيء الكثير، ولعلّ مردّ الارتباط بين قسنطينة والخنساء كرمز للحزن ما حلّ بالمدينة بعد وفاة "صالح باي"، يقول ابن الموهوب: (جابر، 2001، 27/2)

أَلَا يَا عَيْنُ مَا يُجْدِي بُكَاءُ وَلَوْ كُنَّا لَخُنْسَا مُشْبِهِينَا

أما الكسعيّ فهو مثال للندم والحسرة، نتيجة تسرّعه بكسر سهامه، وقد ذكره الفرزدق في قوله:

نَدِمْتُ نَدَامَةً الْكُسْعِيِّ لَمَّا غَدَت مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَارُ

وَكَانَتْ جَنَّتِي، فَخَرَجْتُ مِنْهَا كَادِمَ حِينٍ لَجَّ بِهِ الضَّرَارُ

2.3 الحقوق الدلالية

الحقول الدلالية أو المعجمية هي مجالات أو عائلات، تضم كلّ منها طائفة من الألفاظ أو المفردات التي تستعمل عادة ضمن سياق واحد، وقد عرف العرب هذا النوع من الحقول، وإن لم يطلقوا عليه مصطلح الحقول، وألقوا في ذلك كتباً ورسائل متخصصة، ومن أمثلة ذلك رسائل الأصمعيّ (ت: 216هـ) كالشّاء والفرق والخيل والوحوش وغيرها، يضاف إلى ذلك رسالة الخيل لأبي عبيدة (ت: 210هـ)، والمطر واللبأ لأبي زيد الأنصاريّ (ت: 215هـ)، والكرم لأبي حاتم السجستانيّ (ت: 250هـ)، يضاف إلى ذلك معاجم الموضوعات مثل الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، وفقه اللغة وسرّ العربية لأبي منصور الثعالبيّ (ت: 429هـ)، والمخصّص لابن سيده المرسيّ الأندلسي وغير ذلك

ولعلّ أقرب تعريف للحقل الدلالي هو تعريف جورج مونان الذي بيّن أنه: «مجموعة من الوحدات

المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تتدرج تحت مفهومٍ عامٍّ يُحدد الحقل» (أحمد ع.، 2002، ص13)
 أمّا فيما يخصّ الحقول الدلالية كنظرية، فليس هناك قول مرجّح في ذلك، وإن كان البعض يرى أنّها
 نشأت ضمن دراسة "دي سوسير" اللسانية؛ لأنّ قوله: إنّ الدليل اللساني يخضع لنوعين من العلاقات:
 1- علاقة مبنية على معاييرٍ صوريةٍ مثل: كلمة (تعليم) فهي توحى بكلماتٍ أخرى مُشتقة منها،
 وتنتمي إلى نفس المجال الدلالي مثل: علم، نعلم.

2- علاقة مبنية على المعايير الدلالية فكلمة تعليم توحى بكلماتٍ أخرى مثل: تربية، تعلّم، تكوين.
 إنّ العلاقات السابقة لا تُعدّ مصداقاً لقولِ القائل: «بذلك وضع (سوسير) الإطار العام الذي يمكن أن
 تُدرس فيه الأدلة اللغوية» (الجليل، 2001، ص76)

غير أنّ ما يمكن الجزم به أنّ تطوّر النظريّة وتبلورها قد تحقق على يد العالم الألماني (تريير)
 (Trier) الذي صبّ جهده على مفردات اللغة الألمانية الخاصة بالمعرفة في القرنين الثّاني عشر والثّالث
 عشر، وقد جعل المرحلتين موزعتين على حقلين، فوضع في حقل المرحلة الأولى الصفات الجيدة، والصفات
 غير الجيدة، وفي حقل المرحلة الثانية جمع الكلمات المرتبطة بالخبرة الدينية، والمعرفة، والفن (بالمر،
 1985، صفحة 78)، لكنه لم يستعمل مصطلح الحقول الدلالية، وإنما استعمل بدلاً منه مصطلحات: الحقل
 المعجمي، الحقل المفهومي، الدائرة المفهومية ...، ورأى بعض الباحثين "أن سطور" (A. Stor) هو أول
 من استعمل هذا المصطلح (أحمد ع.، 2002، ص11)

1.2.3 الحقل الديني:

ما يميّز قصيدة "المنصفة" أنّها استمدّت قوتها من معين القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، حيث
 نجد الشّاعر يعترف من هذا المعين الذي لا ينضب، وسنورد بعض الأمثلة التي تراوحت بين الاقتباسين
 اللفظي والمعنوي، من ذلك قوله: (جابر، 2001، 24/2)

أَلَيْسَ الْيُسْرُ يَأْتِي بَعْدَ عُسْرٍ فَهَلْ كَانَ الشَّقَاءُ لَنَا قَرِينَا

فالشّاعر هنا يستحضر قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح 5-6]

وفي قوله: (جابر، 2001، ص 24/2)

يُنَادِينَا الْكِتَابُ لِكُلِّ خَيْرٍ فَهَلْ كُنَّا لِذَلِكَ سَامِعِينَا

يُنَادِينَا الْحَدِيثُ لِكُلِّ فَضْلٍ فَهَلْ كُنَّا بِفِعْلٍ قَائِمِينَا

ففي البيتين السابقين نجد "ابن الموهوب" حريصاً على إبراز الجانب الديني في نفوس المسلمين الذين يلتزمون بما جاء فيه، يأترون بأوامره، وينتهون بنواهيته، غير أن بعض أهل قسنطينة في عصره، نقضوا تلك الجهود باستباحتهم محارم الله، وأكلهم أموال الناس بالباطل، والشاهد هنا قوله: **فَهَلْ كُنَّا لَذَلِكَ سَامِعِينَ**، الذي يوحي بإنكاره لفعل قومه، الذين لم يسمعوا كلام ربهم، ويمكن - في هذا المقام - الإشارة إلى بعض الآيات المناسبة للمقام، منها قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾** [المائدة 91] وقوله تعالى: **﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾** [يونس: 43] وغيرها من الآيات التي تصب في المعنى ذاته.

أما في البيت الثاني فنجد إشارة إلى وجوب اتباع سنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - من خلال العمل بما صح عنه من قول أو فعل أو تقرير، لكن "ابن الموهوب" ينفي ذلك عن هؤلاء الذين ما عادوا للشرع بقائمين، وذلك من خلال قوله: **فَهَلْ كُنَّا بِفِعْلِ قَائِمِينَ؟** وهو استفهام إنكاري الغرض منه وصف حال بعض أهل البدع في قسنطينة، الذين ابتعدوا عن سنة الهادي الأمين، وارتكبوا الفواحش والمنكرات ظناً منهم أنها من الدين، وهو منها براء. ومما يدخل في الحقل الديني قوله: (جابر، 2001، 26/2)

وَدِينُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	أَلَا يَا قَوْمَ مَا الْإِسْلَامُ هَذَا
وَسِيرَ فِي الْمَنَافِعِ مَا حَيِينَا	أَتَى الْإِسْلَامُ يَأْمُرُنَا بِعِلْمٍ
تَدَبَّرَ قَوْلَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ	وَجَمَعَ بَيْنَ دُنْيَانَا وَآخِرَى

2.2.3 الحقل التاريخي:

يحتل الاستحضار التاريخي في نونية ابن الموهوب حيزاً هاماً لكونه معينا لا ينضب، وخرزناً لمآثر السابقين، يسوق الشاعر منه ما يحتاج لإسقاطه كمعادل تاريخي يربط أحداث الحاضر بالماضي، سيما وأن لقسنطينة من الماضي الشيء الكثير، فهي موطن "سيفاكس" و"غاليسا" وغيرهما من ملوك نوميديا، وبكفيها فخراً أنها موطن "صالح باي"، كاعظم من تولى حكم بابل في الشرق في الجزائر، وكما ذكرنا سابقاً، فإن مدينة قسنطينة حبلت بالرموز التاريخية، مثل بغداد (عاصمة الخلافة العباسية)، وقرطبة (عاصمة الخلافة الإسلامية في الأندلس)، وفاس (مدينة العلم والعلماء بالمغرب)، والقاهرة (مدينة المعز لدين الله)، وبخارى (منجم المعرفة على حد قول جلال الدين الرومي)، والبصرة ...

وقد عزف ابن الموهوب على هذا الوتر التاريخي في معرض الحديث عن أسلاف القسنطينيين، ممن حافظوا على عراقة المدينة وأصالتها، ولم تلههم الدنيا بزخرفها فكانوا خير سلف، إذ لم يحيدوا عن

الصراط السوي والهدى: (جابر، 2001، 28/2)

وَقَرطبة وَأَخَذَ الْوَاوِدِينَا	سَلُّوا عَنْ عِلْمِهِمْ بَغْدَادَ شَرْقاً
----------------------------------	---

وَبَصْرَةَ تُبْصِرُوا الْحَقَّ الْيَقِينَا
سِوَاكُمْ مِنْ عُلُومِ السَّالِفِينَا
وَإِنْ أُحْيَتْ بِعِلْمٍ آخِرِنَا

سَلُّوا فَاساً وَقَاهِرَةً بُخَارَى
سَلُّوا حَرْبَ الصَّلِيبِ فَكَمْ أَفَادَتْ
قُبَيْحَ ذِكْرِهَا أَفْنَتْ نَفُوساً

ويدخل في هذا الإطار بعض الشخصيات الأجنبية، التي أسهمت في إنصاف العرب، عكس العديد من المستشرقين، ومن هؤلاء الرحالة الإيطالي ماركو بولو (1254-1324م)، والمؤرخ الفرنسي "فيكتور دوروي (1811 - 1894)، والمستشرق لوي ببيير أوجين سيديو (1808-1875م)، وترتبط أسماؤهم بالرموز التاريخية لمدينة قسنطينة، وفي ذلك يقول الشاعر: (جابر، 2001، ص 28/2)

وسيديو فكلّ لن يمينا
عباد الله سير الصالحينا
فؤالي البرّ عون المسلمينا

سَلُّوا دوروي ومركبول عنهم
سَلُّوا التاريخ من غير وسيروا
أعيُنوا واستعينوا واستفيدوا

4. خاتمة:

عرض المولود ابن الموهوب أفكاره في قصيدته المنصفة، التي اختار لها الوافر بحراً، مستمداً عباراتها قافيتها من معلّقة عمرو بن كلثوم، ممّا جعل لها وقعا في نفس القارئ، انطلاقاً من الاقتباسات من المعلّقة ومن غيرها، إضافة إلى الارتكاز على الموروث الثقافي والحضاري لمدينة قسنطينة، وقد كان غرض الشاعر في قصيدته فضح تلك الطقوس الغريبة على مدينة عريقة مثل قسنطينة، التي من المفروض أن يتسلّح أهلها بالعلم بدل الخرافة، ومن النتائج المتوصّل إليها:

- وفق المولود بن الموهوب في قصيدته سواء من حيث الشّكل، انطلاقاً من محاكاة معلّقة عمرو بن كلثوم وزنا وقافية، أو من حيث المضمون، حيث تعتبر دعوته امتداداً لما كان ينادي به الفكون في "منشور الهداية"
- استطاع ابن الموهوب وصف الطقوس الوثنيّة التي اتخذتها نسوة وصفا دقيقا ككما ورد لدى من سبقه من الرحّالة العرب، ومن أبرزهم "ليون الإفريقي".
- استلهم ابن الموهوب صوره الشعريّة من الرموز الأسطوريّة التي ارتبطت بمدينة قسنطينة، ومنها: السّلاحف في غراب، الأعطار، غابا، الحمام، السّدرا.
- من الحقول الدلالية التي أخذت حيّزا هاماً في قصيدة "ابن الموهوب" الحقل الدّيني، الذي اتّخذهُ الشاعر كوسيلة لفضح الممارسات الغريبة عن مجتمع قسنطينة.

5. قائمة المراجع:

- 1 - بالمر (1985)، علم الدلالة. تر: محمد عبد الحليم الماشطة، بغداد: جامعة المستنصرية.
- 2 - الحفناوي أبو القاسم محمد (1906)، تعريف الخلف برجال السلف ج1، الجزائر: مطبعة ببيير فونطانة.
- 3 - سعد الله أبو القاسم (1992)، الحركة الوطنية الجزائرية ج 2، المجلد 4. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 4 - عبد الله حمّادي (1 مارس، 2001)، قسنطينة في ذاكرة النصوص التراثية. مجلة المعرفة ع450.
- 5 - عبد الله، محمد حسن (1981) الصورة والبناء الشعري. القاهرة: دار المعارف.
- 6 - العبدريّ أبو البركات (2005)، الرحلة المغربية، مج 2. تح: علي إبراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين للنشر والتوزيع.
- 7 - عزوز أحمد (2002) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- 8 - كمال أبو ديب (1995)، جدلية الخفاء والتجلي مج 4. بيروت: دار العلم للملايين
- 9 - ماجد الحكواتي، عدنان جابر (2001). مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين ج 2. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ.
- 10 - محمّد ناصر (2007)، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها، الجزائر عاصمة الثقافة العربية.
- 11- المرزوقي، أحمد بن محمّد (2002). شرح ديوان الحماسة لأبي تمام (مج 1). (تح: غريد الشيخ) بيروت، دار الكتب العلمية
- 12 - منقور عبد الجليل (2001)، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربيّ. دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- 13 - نويهض عادل (1980)، معجم أعلام الجزائر ط 2. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.
- 14 - الورثياني الحسين (1908)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار. تح: محمد بن أبي شنب الجزائر: مطبعة ببيير فونطانة.
- 15 - الوزان الحسن بن محمّد (1983)، وصف إفريقيا ط 2، المجلد 2. تح: محمّد حجّي - محمّد الأخضر بيروت، دار الغرب الإسلامي.